وتأتي أهمّية التناص من أنّه يمثل عملية إثراء وإغناء للنصوص بعضها بعضا بقيم دلالية وشكلية متعدّدة ومتنوّعة. كما يمثل تحرّرًا وانعتاقا للمبدع نفسه من قيود الثقافة الواحدة، ومن قيد الزمان والمكان. إنه معانقة أجواء أخرى أكثر رحابة وفساحة. يقول محمد مفتاح: «إنّ التناص لا مناص منه لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومستوياتهما، ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نصّ هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النصّ من قبل المتلقي أيضا».(1)

وما نخلص إليه في النهاية، هو لمّا كان التناص عنصرًا قارًا في كلّ النصوص. ولما كان أحد أهداف علم النص تحديد مقومات الخطاب، فلا يمكن إذا، وبأيّة حال من الأحوال، التغافل عن هذه الظاهرة النصية الهامة، لما سيكون لها من آثار بالغة سواء في الدّراسات النقدية، أو في التعامل المدرسي مع النصوص.

وأمّا خلاصة القول بخصوص المقوّمات النصّية بصفة عامّة، فهي أن النص ليس تركيبا لغويّا عشوائيّا، وإنما هو بناء حصيف يخضع لمعايير عديدة؛ منها ما يتصل بالنص ذاته، ومنها ما يتصل بمنتجه ومتلقيه أو بسياقه بصفة عامّة. وإن من شأن الإخلال بأحد هذه المعايير أن يجعل هذا البناء يختل بسبب فقدانه لأحد مقومات حصافته وانسجامه.

6 - أنواع النصوص:

يعدّ تصنيف النصوص إلى أنواع حسب خصائصها البنائية والمعجمية، من الانشغالات الأساسية لعلماء النص، لما لذلك من

(1) راجع: خطابي. *لسانيات النص*. ص 315 - 316.

فـــوائد تطبيقـــية في ميادين عديدة؛ فمن شأن الوقوف – مثلا – على الخصائص العامّة لبعض أنواع النصوص، أن يمكننا من بناء استراتيجيات تعليمية لتدريس مادّة النصوص على المستويين القرائي والكتابي معا.

ولكـــن تجـــدر الإشارة إلى أن عملية التصنيف هذه لا تخلو من صعوبات جمة لسببين اثنين؛ أوّلهما العدد الهائل للنصوص المتداولة في المجـــتمع، والـــذي لا يكاد يخضع للحصر، ومنه، حسب فان دايك، «المحادثات اليومية والأحاديث العلاجية والمواد الصحفية والحكايات والقصص والقصائد ونصوص الدّعاية والخطب وإرشادات الاستعمال والكتب المدرسية والكتابات والنقوش ونصوص القانون والتعليمات وما أشبه».[1]

وأمّـــا السّبب الثاني الذي يعيق عملية التصنيف، فهو أن النص الواحد، مهما كان النوع أو الصنف الذي ينتمي إليه، يندر جدّا أن يكـــون متجانسا؛ إذ غالبا ما يشتمل على مقاطع مختلفة تتراوح بين السّرد والوصف والشرح.[2]

غـــير أن هذا لا يمنع من الإقرار بأن انتماء النصوص إلى أنواع متمايـــزة أمر لا شك فيه. ولا أدلّ على ذلك من أن أي قارئ عادي يـــستطيع فـــرز وتصنيف مجموعة من النصوص المختلفة، وإن يكن اعـــتماده في ذلك على مؤشرات بسيطة؛ كأن يعرف أن الأمر متعلق بحكايـــة. وذلـــك من خلال الطريقة التي يبدأ بها النص (في يوم من

---

(1) **فان دايك**. *علم النص*. ص 11.

(2) **Adam (J. M.)**. *Linguistique textuelle*. p. 82.

Voir aussi:

Maingueneau (D). Eléments de linguistique pour le texte littéraire. p. 146.

الأيـــام، كـــان يا ما كان في قديم الزمان...)، أو بمقال صحفي، من خـــلال بعـــض المؤشرات التركيبية والمعجمية، أو بمقالة علمية، من خلال مجموعة المصطلحات المعتمدة، وطريقة الاستدلال فيها.[1]

ومهما كانت بساطة هذا التصنيف، فإنّه في حقيقة الأمر، ليس اعتباطـــيا؛ فهـــو يرتكز في أغلب الأحيان، على معايير فيها كثير من الموضـــوعية الـــناتجة عن تمرّس معين في التعامل مع النصوص، وعن معايير متعارف عليها لدى المتكلمين بلغة معينة. ويفسّر ذلك بامتلاك المـــتكلم لكفاية عامة تمكنه من بناء الجمل بناءً نحويا ودلاليّا سليمًا، ومـــن التمييـــز بين مختلف النصوص. فيعرف إن كان النص سرديا، وصفيا أم استدلاليا.[2]

ولـــئن كـــان علم النص لا ينكر ما يترتب عنه هذا التصنيف الفطري، من تحديد لأنواع عديدة من النصوص، فإنه سعى إلى وضع معـــايير أكثر دقّة، تصنّف على أساسها مختلف النصوص والخطابات. والمحاولات في هذا المجال كثيرة نذكر منها:

أ - التصنيف على أساس وظيفي تواصلي:

وهـــو يركـــز على الوظيفة اللّغوية المهيمنة في النص. والمرجع الأساســـي لهذا التصنيف هو "رومان جاكبسون" (1963) الذي ميز بين مختلف النصوص بحسب الوظيفة الأكثر بروزا فيها.

- نصوص تهيمن فيها الوظيفة المرجعية (La fonction référentielle)، وهـــي الـــتي يأتي فيها عرض لمعلومات أو أخبار. فهي نصوص إعلامية إخبارية بدرجة أولى.

---

(1) **Coirier (P.) et autres.** *Psycholinguistique textuelle.* p. 39.

(2) **براون ويول.** *تحليل الخطاب.* ص 234.

- نـــصوص ذات طابع تأثيري، وهي التي يكون التركيز فيها على المتلقـــي مـــن أجل إقناعه والتأثير فيه. وتكثر فيها صيغ الخطاب والطلب.
- نصوص ذات طابع تنبيهي (Phatique)، وهي تهدف أساسًا إلى الحفـــاظ على استمرارية التواصل ومراقبة مدى فعاليته ونجاعته. كمـــا تولي عناية خاصة إلى تسلسل النصّ وترابطه حتى يتمكن المتلقي من متابعته.
- نـــصوص ذات طابع معجمي أو لغوي صرف (La fonction métalinguistique)، وهـــي التي يأتي التركيز فيها على وسيلة الاتصال من حيث وضوحها، وحسن أدائها لوظيفتها. وتتجسّد في شرح المتكلم وتبسيطه لبعض عباراته أو كلماته.
- نـــصوص ذات طابع إنشائي (La fonction poétique)، وهي النصوص التي يكون الاهتمام منصبّا فيها على الجانب الشكلي، كتحـــسين التـــراكيب وانتقاء الكلمات بما يكسبها طابعا جماليّا وفنيا مميزا.[1]

وتجـــدر الإشـــارة هنا إلى أن الاتجاه البنيوي، ومن بعده الاتجاه الوظيفـــي التواصـــلي، قـــد وظفا تصنيف جاكبسون في التمييز بين النصوص وتحليلها.

ومـــن المحـــاولات الأخـــرى للتمييـــز بـــين النـــصوص ما يسمّى بـــ:

---

(1) **Jakobson (Roman)**. *Essais de linguistique générale*. Paris: Editions de minuit. 1963, PP. 214 - 220.

وأنظـــر أيضا: **الطبال بركة، فاطمة**. *النظرية الألسنية عند جاكبسون* ص 66 وما بعدها.

ب – التصنيف السياقي أو المؤسّساتي:

وهـــذا التـــصنيف ذو طابع اجتماعي، باعتباره يركّز على الوظـــيفة الاجتماعـــية الـــتي يؤدّيها النص. وقد تمخض عن هذا التـــصنيف مـــا هو متداول حاليا من تمييز بين النصوص الإعلامية والدينـــية والإشهارية، والإدارية وغيرها. وكما هو واضح فكلّ نـــوع من هذه الأنواع بالإمكان ردّه إلى المؤسسة الاجتماعية التي يصدر عنها.

ج – التصنيف حسب العملية الذهنية الموظفة في النص:

أمّـــا التـــصنيف الثالث والذي يبدو في نظرنا، أكثر التصنيفات وضـــوحا ودقة، فهو التصنيف الذي يميز بين أنواع النصوص حسب العملـــيات الذهنـــية أو العقلية التي توّظف في النص أكثر من غيرها، كالاســـتدلال أو الـــشرح أو العرض أو السّرد أو غيرها. وعليه فهم يميزون بين الأنواع التالية.

– النص الحجاجي (Le texte argumentatif):

إن النـــية أو القصد في هذا النوع من الخطاب، هو تغيير اعتقاد يفتـــرض وجُودُهُ لدى المتلقي، باعتقاد آخر يعتقد المرسل أنه الأصح. كمـــا يـــنطلق الحجاج في النص من مبدأ أن للقارئ أو السّامع رأيًا حـــول القضية المطروحة أو موضوع الكلام. ويهدف في النهاية إلى الإقناع.[1]

---

(1) **COMBETTES (Bernard).** *Quelques jalons pour une pratique textuelle de l'écrit.* Clerment - Ferrand, CRDP CEFISEM. 1989 p. 181.

تطّـــرد في هـــذا النوع من النصوص علاقات معينة، مثل العلّية والـــسببية والتعارض وغيرها. وأمّا الاتساق فيرتكز فيه على التكرير والتوازي والتبيين.[1]

ولّـــا كـــان هـــذا النوع من النصوص يستند كثيرًا إلى الحجج والأدلـــة، فإنّـــه يتعيّن توظيف هذه الأخيرة وتقديمها مرتبة حسب أهميتها.

- **النص الإعلامي (Le texte informatif):**

إن الغايـــة في هـــذا الـــنوع من النصوص هي تقديم معلومات ومعـــارف حول موضوع معيّن يفترض أن المتلقّي يجهلها، أو ليست لديه معلومات كافية حوله.[2]

ومن هنا تأتي ضرورة تخلّل هذا النوع من النصوص مهارة ذهنية أخـــرى هـــي الشرح، وما يتطلبّ ذلك من تقديم للحجج والأدلّة والأمـــثلة التوضيحية.[3] ومعلوم هنا أن بعض الأفكار فقط تكون في حاجـــة إلى الشرح والتفصيل. ويكون ذلك بتقديم المعلومة، شرحها، تقديم الدّليل ثم ذكر المثال التوضيحي (بالمثال يتضح المقال).

- **النص السّردي (Le texte narratif):**

يحـــيل الـــسّرد علـــى واقـــع تجري فيه أحداث معيّنة في إطار زمـــاني معـــين. يبـــيّن فـــيه الذي يحكي كيف تتحوّل الأحداث، وكـــيف تتطوّر عبر الزّمن. وعادة ما يشتمل الخطاب السّردي على

---

(1) **دي بوجراند.** *النص والخطاب والإجراء.* ص 415 - 416.

(2) **Combettes (B.).** *Quelques jalons pour une pratique textuelle* de l'écrit. p. 181.

(3) **Coirier (P).** Psycholinguistique textuelle. p. 43.

ثلاثـــة مراحل: الحالة الأولية (L'état initial)، التحولات الطّارئة، والحالة النهائية (L'état final). كما يشتمل أيضا، على تدرج معيّن (une progression) تفرضه مجريات الأحداث وتعاقبها.[1]

ومـــن خصائص السرد أيضا اشتماله على قدر معين من المؤشرات الزّمانية، وكذلك على روابط بين جملية (connecteurs interphrastiques) خاصة به مثل: بعد ذلك، قبل ذلك، ثمّ...

النص الوصفي (Le texte descriptif):

يعكس الوصف واقعا فيه إدراك كلّي وآني للعناصر المكونة لهذا الواقـــع، وكيفية انتظامها في الفضاء أو المكان الذي توجد فيه. وقد يكـــون الأمر متعلّقا بموجودات جمادية أو بأشخاص أو بغيرها. كما يتمثل الوصف في محاولة نقل هذا الواقع بجزئياته وتفاصيله.

ومـــن الاستراتيجيات التي عادة ما تعتمد في بناء هذا النوع من النـــصوص، الانطلاق في الوصف من أقرب نقطة إلى أبعد نقطة، من الأســـفل إلى الأعلـــى أو العكس، ومن اليمين إلى اليسار. ويتعين في جميع الحالات إلاّ يكون هناك قفز أو انتقال مفاجئ من نقطة لأخرى لا رابط طبيعي بينهما. ولا مناص أيضا للواصف من إجراء اختيارات معيّـــنة بخصوص ذكر بعض التفاصيل أو تجاوزها. كما قد يشير إلى حـــضوره في المكان أو يتغاضى عن ذلك. وبإمكانه أيضا أن يكون حاضرا في النص من خلال التقييم أو إبداء الرّأي.[2]

وإذا كـــان السّرد يشتمل على مؤشرات زمانية، فإن الوصف يـــشتمل علـــى مؤشـــرات مكانية (على اليمين، على الشمال، إلى

---

(1) **Biard (J), Denis (F).** *Didactique du texte littéraire.* p. 19.

(2) **Coirier (P).** Psycholinguistique textuelle. p. 43.

جانـــب، فـــوق...)، كما يختلف النوعان أيضا في توظيف الأزمنة الفعلية.

ومـــا يمكن قوله في الأخير بخصوص محاولات تصنيف النصوص إلى أنواع، أن أغلب علماء النص يؤكدون على صعوبة هذه العملية، وذلـــك دلـــيل، في رأيهـــم، على ما في اللّغة من تعقيد وتداخل بين مختلف ظواهرها. ولقد كان "رومان جاكبسون" (Roman Jakobson) (1963) سبّاقا إلى استنتاج ذلك، عند ما انتهى، في تصنيفه لوظائف اللغة، إلى التداخل الذي يحصل بين هذه الوظائف في أثناء الكلام،[1] بحـــيث يـــتعذّر أن نجد نصّا يحتوي على وظيفة لغوية واحدة، تأثيرية كانت أم تعبيرية، أم مرجعية أم إنشائية.

والنتـــيجة نفسها تقريبا، انتهى إليها "ج. م. آدم" (Jean Michel-Adam) بخـــصوص أنـــواع النصوص؛ حيث يرى أن هذه الأخيرة غير متجانسة إطلاقا. ويتجلّى انعدام تجانسها في أننا نجد في الفقرة الواحدة، بـــل أحيانا في الجملة الواحدة، تداخلاً بين بنية سردية وبنية وصفية.[2] ويستدل "آدم" على عدم تجانس النصوص بأقصوصة "لافونتين" "الذئب والخـــروف" التي نجد فيها عبارات شاعرية وأخرى عادية، وخليطا بين الحـــوار والمونولوج (Le monologue). كما نجد أيضا وحدات وظيفية عديـــدة تتراوح بين السّرد والوصف والشرح والاستدلال. ولعل هذا ما جعل محمّد خطّابي يؤكّد بأن النصوص، وخاصة الأدبية منها، لا تخضع

---

(1) **Jakobson (R).** *Essais de linguistique Générale*. PP. 214 - 220.

(2) **Adam (J - M).** Linguistique textuelle: Des genres de discours aux textes. Nathan. 1999, p. 82.

Voir aussi: **Maingueneau (D).** Eléments de linguistique pour le texte littéraire. p. 146.

لانـــسجام تام، إذ«كثيرًا ما نجد نصوصًا تتعايش فيها وظائف وصفية، ســـردية، حجاجية، ولا أدلّ على ذلك من النصوص الأدبية التي تتضمّن خلـــيطا من الوصف والسرد والحجاج، ممّا يدعو إلى البحث عن معيار آخر للتمييز».[1]

وهـــذا ما يذهب إليه أيضا "ج. فينيير" (Gerard Vigner)، إذ يرى ألاّ وجود لنص، إلاّ في حالات خاصة جدّا، يدور حول وظيفة واحدة؛ فالروبرتاج مثلا، فيه سرد ووصف، وبالإمكان أن ينتهي إلى حكم.[2]

لـــذلك يقترح "آدم"، وهو أحد أكثر اللّغويين الغربيين اهتماما بالبحث في أنواع النصوص، تحديدًا مغايرا لا يكون على أساس النظر في البنـــية العامـــة للنص، ولكن على أساس النظر في طبيعة المقاطع المكونة له، ومدى هيمنة أحدها أكثر من غيره على النص.[3]

وقد ترتب عن ذلك إدخال بعض التعديل على التصنيف الذي سبق ذكره ليصبح كما يلي:

- نـــصوص يغلب عليها الطابع الحجاجي: textes à dominante logico argumentative، كالمـــداخلات العلمـــية والمحاضرات والتقارير...
- نـــصوص يغلـــب علـــيها الطابـــع الإعلامـــي أو الإخباري: textes à dominante informative، كالمناشير والوثائق الإدارية، والتعليمات الإدارية، ونصوص كيفيات الاستعمال...

---

(1) **خطابي محمد**. *لسانيات النص*. ص 314.

(2) **Vigner (G).** *Lire du texte au sens. p.* 83.

(3) **Adam (J - M.)** *Linguistique textuelle. p.* 82.

- نصوص يغلب عليها الطابع السّردي: Textes à dominante narrative، كالسّروايات والسير والمذكّرات والتحقيقات والمحاضر.
- نصوص يغلب عليها الطابع الوصفي: textes à dominante descriptive، كالقصص، والروبورتاجات، وعرض التجارب والمذكرات...[1]

والجدير بالإشارة هنا أن ما أتينا على ذكره من أنواع نصية، ليس في الحقيقة سوى عينة محدودة؛ إذ هناك أنواع نصية أخرى، وتصنيفات مغايرة ليس هنا مجال التوسع فيها. وسواء أكان التصنيف دقيقا أم غير دقيق، فإن ما ليس فيه اختلاف، هو وجود بعض الخصائص الشكلية والمعجمية والبنائية القارّة في كلّ نوع. وهو ما يعني أن لكل نوع بنية مجرّدة؛ إذا استطعنا تحليلها والوقوف على خصائصها، أمكننا توليد نصوص عديدة في إطارها.[2]

إن في تحديد خصائص أنواع النصوص فوائد عديدة، لعل أكثرها بداهة ما يراه "ج. فينيير" من أن التعامل الموضوعي مع النص لفهمه وللوقوف على مظاهر الإبداع فيه، لا يتم إلاّ إذا كان هذا النّص خاضعا في اشتغاله (Soumis dans son fonctionnement) لقوانين أو مواصفات النوع الأدبي الذي ينتمي إليه. ويستشهد على ذلك بما يراه "هـ. ر. ياوس" (Hans Robert Jauss) من أن كلّ عمل أدبي ينتمي إلى جنس (Genre). وهو ما يفترض فيه خضوعه لمجموعة من القواعد الموجودة مسبقا، والتي توجه القارئ في فهمه وتقييمه لهذا العمل.

---

(1) Op.cit., p. 82.

(2) **الزناد**. *نسيج النص*. ص 18.

كما يرى "ج. فينيير" أيضا أنه من الصّعب جدّا قراءة نصّ فيه خـــرق كبير لقواعد النوع. إن رصد ملامح النوع من قبل القارئ، يعني بالنسبة إليه، إمكانية تنظيم قراءته وفق خط معين من التوقعات، وذلك على أساس معرفته السّابقة ببعض قوانين النوع.[1]

ومـــا يمكـــن قوله في الأخير كاستنتاج، هو أن معرفتنا بأنواع النـــصوص والوقوف على خصائصها وطرائق انتظامها واشتغالها، من شـــأنه أن يمكّننا من وضع وإتباع استراتيجيات معينة للقراءة حسب طبيعة كل نوع. كما يمكننا أيضا من وضع الطريقة الملائمة لتدريس النصوص.

(1) **Vigner (G.).** *Lire du texte au sens. p.* P. 63 - 65.